# إهداء

إلى الأم الغالية....

إلى البسمة والضحكة والأمل والرجاء والحب

والحنان والدفء والأمان.......

إلى مصر... أم الدنيا....

أهدي كتابي إليكِ عرفاناً بالجميل

وتقديراً لمكانتكِ العالية....

ليكون جرس إنذار للغافلين.... والأوصياء......

وللمخلصين من أبنائك نبراساً على الطريق الطويل..........

طريق إصلاح التعْليم....

محمد صبري سالم الصباغ

obeikandi.com

obeikandl.com

# المقدمة

ذات مساء.............

كنتُ أشاهد برنامج العاشرة مساءً الذى تُذيعه قناة دريم... وكان حوارًا ساخنًا بين المذيعة المُثقفة منى الشاذلى والدكتور أحمد زكى بدر وزير التربية والتعليم، وذلك عقب الكبسة الشهيرة للوزير على إحدى مدارس حلوان.

كانت النفوس مشحونة من تصرفات الوزير أثناء الزيارة..... خاصة من بعض الألفاظ التى لا تليق داخل الحرم المدرسى، والتصرفات الاستعراضية المكشوفة التى أثارت الاستياء والدهشة!

فى أثناء اللقاء اتصل بالوزير مدير مدرسة سابق على المعاش....

قال المدير... وكان واضحًا أنه ضحية المقولة الشهيرة التى تقول "إن الحياة تبدأ بعد الستين"..... وتخيل أنه ما زال له دور فى الحياة يمكن أن يؤديه... من خلال الخبرة والتجربة....... قال بصوت أنهكته السنين، ولكن لم يُضعُفه الحماس.... إن عنده حلولاً لمشاكل التعليم، وإنه يطلب من الوزير أن يُحدد له لقاء فى الوزارة ساعة أو ساعتين ليُحَدّثه عن هذه الحلول.

تخيلت وقتها أن الوزير ستبدو عليه السعادة، ويفيض على وجهه السرور، وتلمع عيناه بالفرحة، ويقول بصوت ملؤه الحماس "يا مرحبا.... يا مرحبا"... ثم يُرسل فى أقرب فرصة سيارة الوزارة لتأتى بالمدير إلى الوزارة، ويستقبله الوزير بالترحاب، ويجلس إليه يناقشه ويستمع إلى صوت الخبرة والتجربة.

ولكن الصدمة كانت شديدة، والخيبة كانت قوية...... لم يرد الوزير، وظهر على وجهه الامتعاض، وتظاهر بالنظر إلى بعض الأوراق فى يده، وتخيّلته يتمتم بكلمات موجعة "ما هذا المدير الجاهل.... القابع فى كهف المعاش.... أين هو من الكبراء والخبراء وحملة الدكتوراه المُتّقين حولى"

لم أستطع أن أمنع نفسى من الرد عليه.... وأين كان كل هؤلاء الخبراء والكبراء طيلة أربعين عامًا.... انحدر التعليم بهم إلى الدرك الأسفل، وانحدرت بسببه الأخلاق، وتَفَشَّت أوبئة التخلّف، وغاب العدل واختنق الحق، وساد الغش وتوارى الضمير، وازدادت الأمية، وتوسّد الأمر غير أهله فأصبح الفساد يرتع وينخر فى عظام الوطن، وازدادت المحسوبية..... وبدا الأمر كأنه مُتَعَمّد لإفساح الطريق للأوصياء ليمارسوا علينا الوصاية والسيادة!

شعرت بالضيق إلى حد الاختناق.. خرجت إلى الشرفة مثقل القلب والخاطر، وأنا أتخيل المدير المسكين وهو يتجرّع كأس المهانة من تجاهل الوزير على الهواء مباشرة!

تمنيت لو أُتيحت لى الفرصة لأهرع إليه وأقبل رأسه وأطيب خاطره.

من مذياع قريب من منزل مجهول انساب صوت أم كلثوم تشدو برائعتها فى حب مصر:

مصر التى فى خاطرى وفى فمى...... أحبها من كل روحى ودمى

كانت الأغنية فى موعدها..... أحسست بكلماتها أنامل رقيقة تُربّت على شغاف قلبى.... تمنيت لو أن المدير الآن يسمعها مثلى..... بالقطع سوف يرتاح قلبه وتهدأ خواطره، ويستعيد بعضًا من كبريائه، وتجعله غير نادم على الخطوة التى أقدم عليها بنية طيبة.... مصر أكبر من الوزير، وأكبر من أى إنسان يعيش على أرضها وارتوى من حنانها وحُبها..... هى..... كما رددت الأغنية الرائعة تُعَبر عن مشاعر جيلى والأجيال التى سبقتنا...... الحضن الدافئ.... والأمل الجميل.... والمستقبل المشرق.... والحنان الدافق...... هى البهجة والمرح والفرح.... هى الأرض والأمان والوطن.... هى الزوجة والزوج والأولاد والأحفاد.... هى الحبيبة والحبيب.... هى الرفيق والأنيس.... رأينا المسافر يعود إلى حضنها وأول شىء يفعله يركع على الأرض يقبل ترابها، ويبلله بدموع الفرح...... مشاعر تعيش داخلنا لا تتبدل ولن تتبدل، ولكنها أصبحت مشاعر تختلط بمشاعر الأسى والحزن على ما أصابها من تغير الأحوال، وسوء المآل!

أسئلة تُقَطّر دمًا..... لماذا تبدّل الوجه الجميل إلى وجه عجوز.... عابسة.... باكية.... تساب دموعها حارّة وساخنة.....؟... هل هى دموع والقهر والضعف.... والجمود والجحود والعجز؟.. لماذا لم تعد ذراعاها قادرتان على الضمّة، ولا شفتاها على القُبْلَة؟..... لماذا يهرب أبناؤها تحت جُنح الليل ليعيشوا الحياة فى أرض غريبة فيصل من يصل ليذوق مرارة الذل والغُربَة، ويضيع من يضيع فى غياهب البحار؟!...... لماذا ضاع الأمل من النفوس، وغاب العدل، وتوارى الضمير، وتركنا أنفسنا لعبة فى يد الأوصياء فى الداخل والخارج؟!

لماذا كل هذا التَرَدّى؟...... لماذا كل هذا الضياع؟..... لماذا فقد الشباب لَذّة الأمل؟.... وماذا يتبقّى للإنسان إذا فقد الأمل..... الأمل فى الغد... فى الحياة... فى السعادة..... فى المشاركة فى صُنع الحياة؟!

كان المدير المكلوم..... القابع فى كهف المعاش والنسيان يريد أن يقول كلمته، ويمد يدًا بالمشورة والنصيحة..... هو يعلم – مثل كل إنسان يعيش على أرض المحروسة – أن كل النكبات التى نعيشها، وكل الأمراض التى يُعانى منها الوطن هى بسبب التعليم الردىء، والتربية السيئة، وأنه لا صلاح للأمّة وإنقاذ الوطن إلا بالتعليم الجيد والتربية الحسنة لإنقاذ ما يُمْكن إنقاذه.

تساءلت ليلتها.... ماذا كان يُريد أن يقول المدير للوزير؟

لاشك أنه مثل كل مصرى مهموم بما يُعانيه الوطن..... بل الوطن العربى كلّه.

ولاشك أن عنده الكثير من واقع التجربة والمُعايشة الطويلة مُعلّمًا ومديرًا.... فلم يهبط من المجهول على الوزارة، ولم يكن فى موقعه يومًا بسبب المحسوبية ومزاج الأوصياء!

رددت فى نفسى..... لماذا لا أتقَدّم أنا وأكون هذا المدير، وأُقابل السيد الوزير!

سوف أفترض حُسن النية.... أتحدث إليه وأُحاوره، ويسمعنى وأسمعه.... ولن يضيق بالحوار.... فهو – وهذه حقيقة – مُثقف وعالم وخبير ولكن فى مجاله، وعنده بلا شك حماس للعمل، فضلاً عن سمات القيادة، وعنده الرغبة الحقيقية فى التغيير، والنهوض بالتعليم.

ولكن بالطبع لن أطلب لقاءه..... فسوف يكون مصيرى نفس مصير المدير!

سوف أستدعيه أنا فى خيالى، وفى الوقت الذى أُريد!..... لن يستطيع أن يرفض، أو يتشاغل عَنى، وسوف أُسجل الحوار معه فى كتاب، وأرسله إليه فى جواب.... ربما يصله يومًا.... أو يصل غيره!!

سوف يكون العنوان.... (ازمة التعليم – فى حوار بين المدير والوزير)..

والله الموفق....

محمد صبرى سالم الصباغ